



حکمتی

نزار قبانی

قراءة ممتعة

مع تحيات يحيى الصوفي

مؤسس ورئيس تحرير موقع

القصة السورية  
Syrian Story

## أكبر من كل الكلمات

سيدتي ! عندي في الدفتر  
تـرقص آلاف الكلمات  
واحدة .. في ثوب أصفر  
واحدة .. في ثوب أحمر  
يحرق أطراف الصفحات  
أنا لست وحيداً في الدنيا  
عائلتي .. حزمة أبيات  
أنا شاعر حب جوال  
تعرفه كل الشرفات  
تعرفه كل الحلوات  
عندي للحب تعابير  
ما مرت في بال دواة

\* \* \*

الشمس فتحت نوافذها  
وتركت هنالك مرساتي  
وقطعت بحاراً .. وبحاراً  
أنبش أعماق الموجات  
أبحث في جوف الصدقات  
عن حرف كالقمر الأخضر  
أهديه لعيني مولاتي

\* \* \*

سيدتي ! في هذا الدفتر  
تجدين ألوف الكلمات  
الأبيض منها .. والأحمر  
الأزرق منها .. والأصفر  
لكنك يا قمري الأخضر  
أطلى من كل الكلمات  
أكبر من كل الكلمات

حبيتي

حبيبتي . إن يسألوك عني  
يومًا ، فلا تفكري كثيرًا  
قولي لهم بكل كبرياء :  
" يحبني .. يحبني كثيرًا .."  
صغيرتي . إن عاتبوك يومًا  
كيف قصصت شعرك الحريرا  
وكيف حطمت إناء طيب  
من بعد ما ربيتَه شهورًا  
وكان مثل الصيف في بلادي  
يوزع الظلال والعبيرا  
قولي لهم : " أنا قصصت شعري  
لأن من أحبه .. يحبه قصيرا "

\*\*\*

أميرتي . إذا رقصنا  
على الشموع لحننا الأثيرا  
وحول البيان في ثوان  
وجودنا أشعة ونورا  
وظنك الجميع في ذراعي  
فراشة تهتم أن تطيرا  
فواصل رقصك في هدوء  
واتخذي من أضلعي سريرا  
وتمتعي بكل كبرياء  
" يحبني .. يحبني كثيرًا "

\*\*\*

حبيبتي . إن أخبروك أنني  
لا أملك العبيد والقصورا  
وليس في يدي عقد ماس  
به أحيط جيدك الصغيرا  
قولي لهم بكل عنفوان  
يا حبي الأول والأخيرا  
قولي لهم : كفاني  
بأنه يحبني كثيرًا ...

\*\*\*

حبيبتى .. يا ألف حبيبتى  
حبي لعينيك أنا كبير  
وسوف يبقى دائماً كبيراً ...

---

## شؤون صغيرة

- ١ -

شؤون صغيرة  
تمر بها أنت .. دون التفات  
تساوي لدي حياتي  
جميع حياتي ..  
حوادث .. قد لا تثير اهتمامك  
أعمر منها قصور  
وأحيا عليها شهور  
وأغزل منها حكايا كثيرة  
وألف سماء .. وألف جزيره  
شؤون .. شؤونك تلك الصغيره ...  
\* \* \*

- ٢ -

فحين تدخن أجتو أمامك  
كقطتك الطيبه ..  
وكلي أمان  
ألاحق مزهوه معجبه  
خيوط الدخان  
توزعها في زوايا المكان  
دوائر .. دوائر  
وترحل في آخر الليل عني  
كنجم، كطيب مهاجر  
وتتركني يا صديق حياتي  
لرائحة التبغ .. والذكريات  
وأبقى أنا .. في صقيع انفرادي ..  
وزادي أنا .. كل زادي  
حطام السجائر ..  
وصحن .. يضم رماداً ..

يضم رمادي...

\* \* \*

- ٣ -

و حين أكون مريضه ..  
وتحمل أزهارك الغاليه  
صديقي ، إلي  
وتجعل بين يديك يدي  
يعود لي اللون والعافيه  
وتلتصق الشمس في وجنتي  
وأبكي .. وأبكي .. بغير إراده  
وأنت ترد غطائي علي  
وتجعل رأسي فوق الوساده  
تمنيت كل التمني .. صديقي .. لو أني ..  
أظل .. أظل عليه ..  
لتسأل عني ..  
لتحمل لي كل يوم وروداً جميله .

\* \* \*

- ٤ -

وإن رن في بيتنا الهاتف  
إليه أطيّر ..  
أنا .. يا صديقي الأثير  
بفرحة طفل صغير  
بشوق سنونوةٍ شارده  
وأحتضن الآلة الجامده  
وأعصر أسلاكها البارده  
وأنتظر الصوت .. صوتك يهمني عليّ  
دفيئاً .. مليئاً .. قويّ ..  
كصوت نبيّ ..  
كصوت ارتطام النجوم ، كصوت سقوط الحلبي  
وأبكي .. وأبكي .. لأنك فكرت فيّ ..  
لأنك من شرفات الغيوب .. هتفت إليّ ..

\* \* \*

- ٥ -

ويوم أجيء إليك لكي أستعير كتاب ..  
لأزعم أنني أتيت لكي أستعير كتاب ..  
تمد أصابعك المتعبه  
إلى المكتبه ..  
وأبقى أنا في ضباب الضباب  
كأنني سؤال بغير جواب  
أحدق فيك .. وفي المكتبه ..  
كما تفعل القطة الطيبه ..  
تراك اكتشفت ؟  
تراك عرفت ؟  
بأنني جنيت لغير الكتاب  
وأنني لست سوى كاذبه !!  
\* \* \*

- ٦ -

.. وأمضي سريعاً إلى مخدعي  
أضم الكتاب إلى أضلعي  
كأنني حملت الوجود معي ..  
وأشعل ضوئي .. وأسدل حولي الستور  
وأنبش بين السطور ، وخلف السطور  
وأعدو وراء الفواصل .. أعدو وراء نقاط تدور  
.. ورأسي يدور ..  
كأنني عصفورة جائعه  
تفتش عن فضلات البذور  
لعلك يا .. يا صديقي الأثير  
تركت بإحدى الزوايا .. عبارة حب قصيره ..  
جنينة شوقٍ صغيره ..  
لعلك بين الصحائف خبأت شيئاً  
سلاماً صغيراً .. يعيد السلام إليها ..

- ٧ -

.. وحين نكون معاً في الطريق  
وتأخذ - من غير قصد - ذراعي  
أحسُّ أنا يا صديق  
بشيء عميق

بشيّ يشابه طعم الحريق  
على مرفقي ..  
وأرفع كفيّ نحو السماء  
لتجعل دربي بغير انتهاء ..  
وأبكي .. وأبكي .. بغير انقطاع ..  
لكي يستمر ضياعي ..

- ٨ -

وحين أعود مساءً إلى عرفتي ..  
وأنزع عن كتفيّ الرداء ..  
أحس - وما أنت في غرفتي -  
بأن يديك ..  
تلفان في رحمة مرفقي ..  
وأبقى لأعبد يا مرهقي  
مكان أصابعك الدافئات  
على كم فستاني الأزرق ..  
وأبكي .. وأبكي .. بغير انقطاع  
كأن ذراعي ليست ذراعي ..

## فستان التفّتا

أمس انتهى فستاني ( التفّتا ) ..  
أرأيت فستاني ؟  
حققتُ فيه جميع ما شئتَ  
وشياً .. ونمنمةً .. وطرائفاً شتى ..  
أرأيت فستاني ؟  
أرأيتني ؟ أنا بعض نيسان .. أنا كلّ نيسان ..  
صنعتُه حائكتي ..  
من دمع تشرين ..  
من غصن ليمون ..  
من صوت حَسّون ..  
اخترته لوناً حشيشياً ..  
لوناً يشابه لون عينيّ ..  
فصلته شكلاً أثيرياً ..  
فأنا به أخفى من الرؤيا ..



ومشيت .. لم أسأل عن الدنيا ..  
ما همّني الدنيا ؟ أنا الدنيا ..

\* \* \*

... ورجعت أحمله إلى البيت  
وأخذت أمسحه .. وأطويه ..  
أسقيه .. أطعمه .. أغنيه ..  
لأجبيء فيه ليلة السبت  
لتكون .. أول من الأقيه ..

\* \* \*

أمس انتهى .. فستاني ( التفنا )  
من عند حائكتي ..  
أكامه عشب البحيرات  
أزراره كقطيع نجومات  
أمس انتهى .. لم تدر والدتي  
فيه ، ولم أخبر رفيقاتي ..

\* \* \*

ما قصّتي ؟  
أثلاث ساعات ؟  
وأنا أدور أمام مرآتي  
أقصيه عن صدري .. وأدنيه ..  
أرجوه .. أسأله .. أناديه ..  
وأعدّه للموعد الآتي ..  
حتى تراني حلوة فيه ...  
أمس انتهى فستاني ( التفنا ) ..  
ما همّني رأي الرفيقات  
يكفي .. إذا أحببته أنت !!

## كلمات

يُسمّني .. حين يراقصني  
كلماتٍ ، ليست كالكلمات

يأخذني من تحت ذراعي  
يزرعني في إحدى الغيمات

والمطرُ الأسودُ في عيني  
يتساقطُ زخاتٍ .. زخاتٍ

يحملني معه .. يحملني  
لمساءٍ وردي الشرفات

وأنا كالطفلةٍ في يده  
كالريشة تحملها النسمات

يحملُ لي سبعة أقمارٍ  
بيديه ، وحزمة أغنيات

يهديني شمساً .. يهديني  
صيفاً .. وقطيع سنونوات

يخبرنني أنني تحفته  
وأساوي آلاف النجمات

و بأنني كنزٌ .. وبأنني  
أجملُ ما شاهدت من لوحات

يروني أشياء تدوخي  
تتسبني المرقص والخطوات

كلماتٍ .. تقلبُ تاريخي  
تجعلني امرأة في لحظات

يبيني لي قصراً من وهم  
لا أسكن فيه سوى لحظات

وأعودُ .. أعودُ لطاولتي  
لا شيءَ معي .. إلا كلمات ...

## شعري سرير من ذهب

شعري .. سرير من ذهب ..  
فرشته لمن أحب ..  
غمسته في الشمس .. أوجعت الشهب  
بعثرته ..  
أحس أن الله من شعري اقترب  
جملته .. شكته .. زهراً وتفتاً وقصب  
شعري أنا قصيدة من الذهب ..  
داخت عصافير به  
بطوله .. شعري الذهب  
فأين من شعري له .. أين ذهب ؟

لواحد أحبه ..  
ربيته ، هذا الطويل المنسكب  
سقيته .. من خفقة الضوء ورعشات اللهب  
خبأت تموز به .. قمحاً ولوزاً وعنب  
له .. له .. أطلته  
جعلته بطول مدات الطرب  
تعبت في تطويله ..  
تعبت في تدليله ..  
تعبت كي ينسى التعب  
\* \* \*

لواحد .. لواحد ..  
أقعد في الشمس أنا .. من سنة  
أقتل أسلاك الذهب ..

## لوليتا

- ١ -

صار عمري خمس عشرة  
صرت أحلى ألف مره  
صار حبي لك أكبر

ألف مره ..  
ربما من سنتين  
لم تكن تهتم في وجهي المدور  
كان حسني بين .. بين ..  
وفساتيني تغطي الركبتين  
كنت أتيك بثوبي المدرسي  
وشريطي القرمزي  
كان يكفيني بأن تهدي إليّ  
دمية .. قطعة سكر ..  
لم أكن أطلب أكثر ..

- ٢ -

... وتطور  
بعد هذا كل شيء  
لم أعد أقنع في قطعة سكر  
ودمي .. تطرحها بين يدي  
صارت اللعبة أخطر ..  
ألف مره ..  
صرت أنت اللعبة الكبرى لديّ  
صرت أحلى لعبة بين يدي  
صار عمري خمس عشره ..

- ٣ -

صار عمري خمس عشره  
كل ما في داخلي غنى .. وأزهر  
كل شيء صار أخضر ..  
شفتي خوخ .. وياقوت مكسر  
وبصدري ضحكت قبة مرمر ..  
وينابيع ، وشمس ، وصنوبر  
صارت المرأة ، لو تلمس نهدي ، تتخدر  
والذي كان سوياً قبل عامين تدور .. فتصور ..  
طفلة الأمس التي كانت على بابك تلعب ..  
والتي كانت على حضنك تغفو حين تتعب  
أصبحت قطعة جواهر ..  
لا تقدر ..

صار عمري خمس عشره  
صرت أجمل ..  
وستدعوني إلى الرقص .. وأقبل  
سوف ألتف بشال قصبي  
وسأبدوا كالأميرات بيهو عربي  
أنت بعد اليوم ، لن تخجل في ..  
فلقد أصبحت أطول ..  
آه .. كم صليت كي أصبح أطول  
إصبعاً .. أو إصبعين ..  
آه .. كم حاولت أن أظهر أكبر  
سنةً .. أو سنتين ..  
آه .. كم ثرت على وجهي المدور ..  
وذؤاباتي .. وثوبي المدرسي  
وعلى الحب بشكل أبوي  
لا تعاملني بشكل أبوي  
فلقد أصبح عمري خمس عشره ..

## صديقتي وسجائري

واصل تدخينك .. يغريني  
رجل في لحظة تدخين  
هي نقطة ضعفي كامرأة  
فاستثمر ضعفي وجنوني  
ما شهي تبغاك ، والذنيما  
تستقبل أول تشريين  
والقهوة .. والصحف الكسلى  
ورؤى .. وحطام فناجين  
دخن لا أروع من رجل  
يفنى في الركن .. ويفنني  
رجل .. تنضم أصابعه  
وتفكر من غير جبين ..  
أشعل واحدة من أخرى ..  
أشعلها من جمر عيوني

ورمادك ضعه على كفي  
نير انك ليست تؤذني  
فأنا كامرأة .. يرضيني  
أن ألقى نفسي في مقعد  
ساعات في هذا المعبد  
أتأمل في الوجه المجهد  
وأعد .. أعد .. عروق اليد  
فعروق يديك تسليني  
وخيوط الشيب هنا .. وهنا ..  
تنهي أعصابي .. تنهيني  
دخن .. لا أروع من رجل  
يفنى في الركن .. ويفني

\*\*\*

أحرقني .. أحرق بي بيتي  
وتصرف فيه كمجنون ..  
فأنا كامرأة .. يعجبني  
أن أشعر أنك تحميني  
أن أشعر أن هناك يداً  
تتسلل من خلف المقعد ..  
كي تمسح رأسي وجبيني  
تتسلل من خلف المقعد  
لتداعب أذني بسكون  
ولتترك في شعري الأسود  
عقداً من زهر الليمون

\*\*\*

دخن .. لا أروع من رجل  
يفنى في الركن .. ويفني

عندما تمطر فيرونياً

لا تسأليني .. هل أحبهما ؟  
عينيك .. إني منهما لهما

ألدك مـرأتان من ذهب ؟

ويقال لي ، لا أعتني بهما

أستغفر الفيروز .. كيف أنا  
أنسى الذي بيني وبينهما ؟

أ بلحظة تنسين ، سيديتي  
تاريخي المرسوم فوقهما ؟

وجميع أخباري مصورة  
يوماً فيوماً ، في اخضرارهما

نهران من تبغ .. ومن عسل  
ما فكرت شمس بمثلهما

وساتارتان .. إذا تحركتا  
أبصرت وجه الله خفهما  
\* \* \*

عام .. وبعض العام سيديتي  
وأنا أضيء الشمع حولهما

كم جئت أمسح فيهما تعبي  
كم نمت .. كم صليت عندهما

كوخان عند البحر .. هل سنة  
إلا قضيت الصيف تحتها

أحشو جيوبي كلها صدفاً  
وأذيب حزني في مياهها  
\* \* \*

عاد الشتاء بكل قسوته  
يمتص أيامي فأين هما ؟

الشمس ، منذ رحلت مطفأة

والأرض ، غير الأرض ، بعدهما

الآن أدرك حيث لا قمر  
ماذا أنا؟ ماذا .. بدونهما

---

## أَيُّظَنُّ ؟

أَيُّظَنُّ أَنِّي لَعْبَةٌ بِيَدَيْهِ ؟  
أنا لا أفكر في الرجوع إليه ..

اليوم عاد .. كأن شيئاً لم يكن  
وبراءة الأطفال في عينيه ..

ليقول لي : إنني رفيقة دربه  
وبأنني الحي الوحيد لديه

حمل الزهور إليّ .. كيف أرده  
وصباي مرسوم على شفثيه

ما عدت أذكر .. والحرائق في دمي  
كيف التجأت أنا إلى زنديه

خبأت رأسي عنده .. وكأنني  
طفل أعادوه إليّ أبويه

حتى فساتيني التي أهملتها  
فرحت به .. رقصت على قدميه

\* \* \*

سامحته .. وسألت عن أخباره  
وبكيت ساعات على كتفيه

وبدون أن أدري .. تركت له يدي  
لتتام كالعصور بين يديه ..



ونسيت حقدى كله في لحظة  
من قال إنى قد حقدت عليه؟

كم قلت إنى غير عائدة له  
ورجعت .. ما أحلى الرجوع إليه ..

## نهر الأحران

عيناك .. كنهري أحزان  
نهري موسيقى حملاني  
لوراء .. وراء الأزمـان  
نهري موسيقى قد ضاعا  
سيديتي ، ثم أضاعاني  
الدمع الأسود .. فوقهما  
يتساقط أنغام بيان  
عيناك .. وتبغى .. وكحولي ..  
والقدح العاشر أعماني  
وأنا في المقعد .. محترق  
نيرانى تأكل نيرانى  
أقول أحببك .. يا قمري؟  
أه لو كان بإمكانى  
فأنال أملك فى الدنيا  
إلا عينيـك .. وأحزاني  
\* \* \*

سفنى فى المرفأ باكية  
تتمزق فوق الخلجان  
ومصيري الأصفر حطمني  
حطم فى صدري إيماني  
أسافر دونك ليلى  
يا ظلل الله بأجفاني  
يا صيفي الأخضر .. يا شمسي  
يا أجمل .. أجمل ألواني  
هل أرحل عنك؟ وقصتنا  
أحلى من عودة نيسان

أحلى من زهرة غاردينيا  
في عتمة شعر إسباني  
يا حبي الأوحـد .. لا تبكي  
فدموعك تحفر وجداني  
إنني لا أملك في الدنيا  
إلا عينيـك .. وأحزاني  
\* \* \*

أقول أحبـك .. يا قمري  
أه لو كان بإمكانني  
فأنا إنسان مفقود  
لا أعرف في الأرض مكاني  
ضيّعني دربي .. ضيّعني  
إسمي .. ضيّعني عنواني  
تاريخي؟ مالي تاريخ  
إنني نسيان النسيان  
إنني مرساة لا ترسو  
جرح بلامح إنسان  
ماذا أعطيك؟ أجيبني  
قلقي؟ إلحادي؟ غثياني؟  
ماذا أعطيك سوى قدر  
يرقص في كفّ الشيطان  
أنا ألف أحبـك .. فابتعدي  
عني .. عن ناري ودخاني  
فأنا لا أملك في الدنيا  
إلا عينيـك .. وأحزاني

## تلفون

صوتك القادم من خلف الغيوم  
سكب النار على الجرح القديم

مدّ لي أرجوحة من نغم  
ورماني نجمة بين النجوم

من ترى يطلبني؟ مخطئة ..  
فاتركيني لدخاني وهمومي

أنا جرح مطبق أجفانه  
فلماذا جئت تحيين هشيمي؟

رقمي . من أين جئت به؟  
تحت عصف الريح في الليل البهيم

بعد أن عاش غريباً مهملاً  
بين أوراقك .. كالطفل اليتيم

كيف .. من بعد شهور خمسة  
عدت يا صاحبة الصوت الرخيم؟

حُبنا .. كان عظيمًا مرة  
وطوينا قصة الحب العظيم

أتقولين : ( أنا آسفة .. )  
بعدما ألقيت حبي في الجحيم؟

لم أعد أخدع ، يا سيدتي  
بالحديث الحلو .. والصوت النغم

صوتك العائد .. لا أعرفه  
كان يومًا جنّتي .. كان نعيمي  
\*\*\*

حُلوتي .. بالرغم مما قلّته  
فأنا - بعد - على حبي القديم

داعبي كل مساء رقمي  
واصدحي مثل عصافير الكروم

كلمة منك .. ولو كاذبة  
عمّرت لي منزلاً فوق النجوم ..

## ثلاث بطاقات من آسيا

من آسيا ..  
عليك يا صديقتي السلام  
فبعد عينيك أنا ، لا أعرف السلام  
قطعتُ في تشرّدي الطويل  
يا قمري .. يا أرني الجميل  
يا رغبة الحليب والرخام ..  
قطعتُ ألف عام  
بدون عينيك .. بلا خبز .. ولا طعام  
تصوّري ! أنّي بلا عينيك .. ألف عام  
بدون مصباحين أخضرين ..  
بدون شمعتين ..  
بينهما أنام .  
فيروزي :  
ما زلتُ في سفينتي  
أصارع الشمس ، واللصوص ، والدوار  
نزلتُ في مرافيء موبوءة المياه  
صلبتُ في معابد ليس لها إله  
وأرخص الخمور ذقت .. أرخص الشفاه  
قُتلتُ ألف مرة ..  
غرقتُ ألف مرّة ..  
صلبت فوق حائط النهار  
وسبعة قطعنها .. من أوسع البحار  
من أخطر البحار ..  
لمست سقف الشمس ، كانت رحلتي انتحار ..  
تصوّري ..  
أنّي بلا عينيك ، يا حبيبتني ، قرون  
لا كوكب في الأفق ، لا منار  
بحارتي في السطح ميّتون  
وخبزي الإسفنج والمحار

تصوّرني الأرض وما تكون  
يا أرنبني الحنون  
بدون عينيك ، بلا فُسْقِيَّةِ اخضرار  
بدون شاطئين مقمرين ..  
بدون غابتين ..  
أنشد في حماهما القرار  
من آخر الدنيا .  
ومن جدارها القصيِّ  
بطاقتي تأتيك ، يا اعزّ ما لديّ  
يا كل ما لديّ  
الشمس فوق آسيا ..  
كحقل برتقال  
كلوحة لا تُشترى بمال  
والليل في هونكونغ صندوق من الحليّ  
بعثره الله على الجبال  
والبحر يا صديقتي  
شال بنفسجي ..  
يشهق من تطريزه الخيال  
\* \* \*

من آسيا  
أمدّ يا أميرتي يديّ  
أسأل عن عينيك ، يا أعزّ ما لديّ  
عن قطعتي حليّ  
ما لهما مثيل  
في اللون والنقاء  
أميرتي :  
أعرف أنّ مركبي  
يغصّ بالكنوز ، والبخور ، والفراء  
وأنّ عندي مئة من أجمل الإماء  
من أندري الإماء ..  
أعرف أنّي عائد بالذهب الكثير  
بالخزف الصينيّ ، بالسجاد ، بالحرير  
بألف كنز مذهل مثير ..

لكنني .. يا أرنبى الصغير  
برغم ما جمعته فقير  
بدون عينيك .. بدون ماستين  
ما لهما نظير  
يا كنزى الأول .. والأخير

---

## أوريانتيا

أوريانتيا ..  
صديقة من آسيا  
الأنف من شيراز ، والعينان من قفقاسيا  
والشفتان .. زهرتا أضاليا  
أوريانتيا ، تكونت من رغوة البحار  
من نكهة المانغو ، من الأصداف والمحار  
من كل ما في الهند .. من طيب .. ومن بهار  
أوريانتيا .. شاحبة .. جملت الشحوب  
دافئة .. كالبن في مزارع الجنوب  
تائبة ! من قال ؟  
جلّ الحسن أن يتوب ..  
\* \* \*

أوريانتيا ..  
نهدان واقفان  
كقبتي نحاس  
في ذهب المغيب  
صحنان صينيّان رائعتان  
قلعتان من لهيب  
تزودا من آسيا .. بزهرتي غاردينيا  
بعنبر .. بفلفل بطيب ..  
وحبتي زبيب ..  
\* \* \*

أوريانتيا  
شاحبة جملت الشحوب  
أوريانتيا  
أحرّ ما عرفت من توابل الجنوب

---

## الرسائل المحترقة

أحَقًا .. رسالاتي إليك تمزقت  
وهنَّ حبيباتي .. وهنَّ روائعي

أنكر ما فيهنَّ ؟ لا يا صديقتي  
عليهنَّ أسلوبِي ، عليهنَّ طابعي

عليهنَّ أحداقي ، وزرقة أعيني  
وروعة أسحاري ، وسحر مطالعي

حروفي . سفيراتي . مرايا خواطري  
وأطيب طيب في زوايا المخادع

وأجمل ما غنَّيتُ .. ما طررَّتْ يَدُ  
وأكرم ما أعطت أنامل صانع

بأعصاب أعصابي ، رسمتُ حروفها  
وأطعمتها من صحتي ، من مدامعي

وأنفقت أيامي ، أصوغ سطورها  
بدقة مثال .. وأشواق رакع

\* \* \*

أجيبني .. أجيبني .. ما مصير رسائلي ؟  
فإني مُدَّ ضيعتها ألف ضائع

ألم تترك النيران منها بقية  
ألم ينجُ حتى مقطع من مقاطعي ؟

حصيلة عام .. تنتهي في دقائق  
وتلتهم النيران كل مزارعي

وتذهب أوراقِي التي استهلكت دمي

فلا رجع موّال .. ولا صوت زارع  
\* \* \*

أطعممة النيران .. أحلى رسائلي  
جمالِكِ ماذا كان ؟ لولا روائعي

فثغركِ بعض من أناقة أحرفي  
وصدركِ بعض من عويل زوابعي

أنا بعض هذا الحبر .. ما عدتُ ذاكرًا  
حدود حروفي .. من حدود أصابعي

### قصة خلافاتنا

- ١ -

برغم .. برغم خلافاتنا  
برغم جميع قراراتنا  
بأن لا نعود  
برغم العدا .. برغم الجفاء ..  
برغم البرود  
برغم انطفاء ابتساماتنا  
برغم اتقطاع خطاباتنا  
فثمة سرّ خفيّ  
يوحد ما بين أقدارنا  
ويدني مواطية أقدامنا  
ويفنيك في ..  
ويصهر نار يديك بنار يديّ

- ٢ -

برغم جميع خلافاتنا  
برغم اختلاف مناخاتنا  
برغم سقوط المطر  
برغم استعادة كل الهدايا ..  
وكل الصور ..  
برغم الإناء الجميل الذي قلت عنه انكسر  
برغبة رتابة ساعاتنا ..



برغم الضجر ..  
فلا زلت أو من أنّ القدر  
يصرّ على جمع أجزاءنا  
ويرفض كل اتهاماتنا ..

- ٣ -

برغم خريف علاقاتنا  
برغم النزيف بأعماقنا  
وإصرارنا ..  
على وضع حدّ لمأساتنا  
بأي ثمن ..  
برغم جميع ادعاءاتنا  
بأنّي لن ..  
وأنتك لن ..  
فإنّي أشك بإمكاننا  
فنحن برغم خلافاتنا  
ضعيفان في وجه أقدارنا  
شبيهان في كلّ أطوارنا  
دفاترنا .. لون أوراقنا ..  
وشكل يدينا .. وأفكارنا ..  
فحتّى نقوش ستاراتنا ..  
وحتى اختيار اسطواناتنا  
دليل عميق ..  
على أننا ..  
رفيقا مصير ، رفيقا طريق  
برغم جميع حماقاتنا ..

## الكبريت والأصابع ..

أخذ الكبريت .. وأشعل لي  
ومضى كالصيف المرتحل

وجمدت بأرضي ، وابتدأت  
تأكلني النار على مهل

من هذا الفارس ؟ طار له  
في صدري .. زوج من حَجَل

لم أعرف منه سوى يده  
قالت عيناه .. ولم يقل ..

رجل يمنحني شعاعته  
ما أطيب رائحة الرجل

بيده تتحدث دون فم  
كجوار الشمع المشتعل

وعروق زرق نافرة  
ضيعها الليل .. فلم تصل  
\* \* \*

راقبتُ نحول أصابعه  
ودرست تعابير يديه

وأحطتُ بأشواقِي ظفراً  
آثار التدخين عاينه

وعبدتُ بقيّة إرهابه  
تحتلّ جوانب عينيّه

والتعاب الأزرق تحتهمَا  
وهطول الثلج بصدغيه  
\* \* \*

ووقفت أمام رجولته  
كصغير ضيّع أبويه

كالأرنب .. ما .. أصغرني  
يا ربي بين ذراعيه ..

أتلق فيه .. وأتبعه  
وأغوص بريش جناحيه

أحبُّ يدًا .. لا أعرفها  
ماذا يربطني بيديه ؟

## خطاب من حبيتي

- ١ -

شكرًا ..

على خطابك الأخير ..

سفرك الموعود .. يا لرقّة السفير

قرأته .. لأربعين مرّة .. قرأته

أعدته .. لأربعين مرّة .. أعدته

غرقتُ في طيوبه

بكيّت من أسلوبه

بكيّت كالأطفال في سريري

نبشّته .. عصرته ..

عصرتُ كلّ نقطة فيه ، إلى الجذور .

- ٢ -

هذا خطاب منك ..

ما أخطأني شعوري

عرفته ..

من خطك المنمنم الصغير

من حبرك الأخضر .. من أسلوبك الأمير ..

من رشّة النقاط في أواخر السطور ..

من اسمك النائم عنقودًا من العبير

في آخر الصفحة ..

عنقودًا من العبير ..

- ٣ -

عندي خطاب منك ..

يا للنبا المثير

داختُ به وسائدي ..

داختُ به ستوري

أودّ لو قرأته  
للنهر ، للنجمة ، للغدير  
للريح ، للغابات ، للطيور  
أودّ لو نقشته ..  
في أضلع الصخور  
- ٤ -

ثلاث صفحاتٍ منمّقاتٍ  
كأنها مدراج الزهور  
تصحو معي .. تغفو معي ..  
تنام في ضميري ..  
ثلاث صفحاتٍ معطّراتٍ  
كأنها وسائد الحرير  
ما أروع النوم على الحرير ..  
\*

عندي خطاب أزرق  
ما مرّ في ذاكرة البحور  
عندي أنا لؤلؤة ..  
أين غرور الله من غروري ؟

يد

يُدُّكِ التي حَطَّتْ على كتفي  
كحَمَامَةٍ .. نَزَلَتْ لَكِي تَشْرَبُ

عندي تساوي ألف مملّكةٍ  
يا ليتّها تبقى ، ولا تَذْهَبُ

تلك السَّبِيكَةُ .. كيفَ أرفضُها ؟  
مَنْ يَرفضُ السُّكْنَى على كوكبٍ ؟

لَهَيْتَ الخيالَ على مَلاستِها  
وانهَارَ عندَ سوارها المذْهَبُ

الشَّمْسُ .. نائمةٌ على كتفي

قَبْلُهَا أَلْفًا .. وَلَمْ أَتَعَبْ

نَهْرٌ حَرِيرِيٌّ .. وَمَرَوْحَةٌ  
صَيْنِيَّةٌ .. وَقَصِيدَةٌ تُكْتَبُ ..

\*\*\*

يَدُكَ الْمَلِيسَةَ ، كَيْفَ أَقْبَعُهَا ؟  
أَنْتِي بِهَا .. أَنْتِي بِهَا مُعْجَبٌ ؟

قَوْلِي لَهَا تَمْضِي بِرِحْلَتِهَا  
قَلْبًا جَمِيعٌ .. جَمِيعٌ مَا تَرْغَبُ

يَدُكَ الصَّغِيرَةَ .. نَجْمَةٌ هَرَبَتْ  
مَاذَا أَقُولُ لِنَجْمَةٍ تَلْعَبُ ؟

أَنَا سَاهِرٌ .. وَمَعِي يَدُ امْرَأَةٍ  
بِيضَاءُ .. هَلْ أَشْهَى .. وَهَلْ أَطِيبُ ؟

## أَخْبِرُونِي

أَخْبِرُونِي بِأَنْ حَسَنَاءَ غَيْرِي  
يَا صَدِيقِي ، لَدَيْكَ حَلَّتْ مَحَلِّي

أَخْبِرُونِي بِالْأَمْسِ ، عَنْكَ وَعَنْهَا  
فَلَمَّاذَا يَا سَيِّدِي .. لَمْ تَقُلْ لِي ؟

أَلْفَ شُكْرٍ .. يَا ذَابِحًا كَبِيرِيَّيْ  
أَوْ هَذَا جَوَابَ حَبِّي وَبَذَلِي ؟

أَنَا أَعْطَيْتُكَ الَّذِي لَيْسَ يَعْطَى  
مَنْ حَيَاتِي ، وَأَنْتَ حَاوَلْتَ قَتْلِي

يَا رَخِيصَ الْأَشْوَاقِ .. خَمْسَ سَنِينَ  
كُنْتُ أَبْنِي عَلَى دُخَانٍ .. وَرَمَلٍ ..

كان عطري لديك .. أجمل عطر  
كان شعري عليك شلال ظل

كان ثوبي البنفسجي ربيعاً  
كم على زهرة جلست تصلي

وأنا اليوم ، لستُ عندك شيئاً  
أين عيناى ؟ أين طيبي وكحلي ؟

\* \* \*

لا تلامس يدي بغير شعور  
عندك الآن .. من تحلّ محلي

سأصلي .. لكي تكون سعيداً  
في هواها ، فهل تُصلي لأجلي ؟

أنت طفلي الصغير .. أنت حبيبي  
كيف أقسو على حبيبي وطفلي ؟

هي في غرفة انتظارك .. فاذهب  
بين أحضانها ستعرف فضلي

يا صديقي شكراً .. أنا أتمنى  
لو وجدت التي تحبّك مثلي ...

## قطي الغضبى

للمرة العشرين .. كررتها  
" هل في حياتي رجل آخر ؟ "  
نعم .. نعم .. فهل تصورتني  
مقبرةً ليس لها زائر ؟  
ما أكثر الرجال .. يا سيدي  
لا روضة ، إلا لها طائر  
تجربة كانت .. وهما أننى  
نجوت من سحرك يا ساحر

شفيتُ من ضعفي ومن طبييتي  
طيبة النفس لها آخر

\*\*\*

تحبني؟ ليتك ما قاتها  
هذا حديث غابر غابر ..  
منذ متى أصبحت تهتم بي؟  
منذ متى هذا الهوى الغامر؟  
هل كنتُ إلا مقعدًا مهملاً  
يضمه أثاثك الفاخر  
مزرعة .. نهبت خيراتها  
لا ذمة تنهى ، ولا زاجر

\*\*\*

يا أيها الباكي على ملكه  
لقد تداعى ملكك الزاهر  
كانت لك الجنات مفتوحة  
ثمارها ، وعشبها الناضر  
واليوم .. لا نار ولا جنة  
هذا جزاء الكفر ، يا كافر

\*\*\*

لو كنتُ إنسانًا معي .. مرة  
ما كان هذا الرجل الآخر

## الرجل الثاني

أنا هنا .. بعد عام من قطيعتنا  
ألا تمدّين لي بعد الرجوع يدًا؟

ألا تقولين : ما أخبارها سفني؟  
أنا المسافر في عينيك دون هدى

حملتُ من طبيبات الصين قافلة  
وجئتُ أطعم عصفورين قد رقدا

وجئتُ أحمل تاريخي على كتفي

وحاضرًا مرهق الأعصاب ، مضطهدًا

ماذا أصابك ؟ هل وجهي مفاجأة  
وهل توهمت أنني لن أعود غدًا ؟

ما للمرايا على جدرانها اختلجت  
لما دخلت ، وما للطيب قد جمدا

تركتُ صدرك في تفتيحه ولدًا  
وحين عدتُ إليه .. لم يعد ولدًا

وناهداك .. أجيبني ، من أنلهما ؟  
ويوم كنتُ أنا .. لله ما سجدا

كانا أميرين .. كانا لعبتي خزف  
تقوم دنيا إذا قاما .. وإن قعدا

يا مدفن الثلج .. هل غيري يزاحمني ؟  
وهل سرير الهوى ما عاد منفردًا

جريدة الرجل الثاني .. ومعطفه  
وتبعه .. لم يزل في الصحن متقدًا

ما لون عينيك ؟ إنني لستُ أذكره  
كأنني قبلُ لم أعرفهما أبدًا

إنني لأبحثُ في عينيك عن قدرتي  
وعن وجودي ، ولكن لا أرى أحدًا ..

## إلى قديسة

ماذا إذن تتوقعين ؟  
يا بضعة امرأة .. أجيبني  
ما الذي تتوقعين ؟



أأظُلُّ أصطاد الذباب هنا .. وأنتِ تدخينين ؟  
أجترُّ كالحشّاش أحلامي ..  
وأنتِ تدخينين ..  
وأنا .. أمام سريرك الزاهي .. كقطّ مستكين  
ماتت مخالبه .. وعزته .. وهدّته السنين  
أنا لن أكون - تأكدي -  
القطّ الذي تتصورين  
قطّاً من الخشب المجوّف لا يحركه الحنين  
يغفو على الكرسيّ إذ تتجردين  
ويردّ عينيه .. إذا انحسرت قباب الياسمين ..  
\* \* \*

تلكَ النهاية ليس تدهشني  
فما بالك تُدهشين ..  
هذا أنا ..  
هذا الذي عندي .. فماذا تأمرين ؟  
أعصابي احترقت وأنتِ على سريركِ تقرأين ..  
أأصوم عن شفّتيك ؟ فوق رجولتي ما تطلبين  
ما حكمتي ؟ ما طيبتي ؟ هذا طعام الميتين ..  
متصوف ؟؟  
من قال ؟ إني آخر المتصوّفين ..  
أنا لستُ يا قديستي الربّ الذي تتخيلين  
رجلٌ أنا كالآخرين  
بطهارتي ..  
بندالتي ..  
رجل أنا كالآخرين  
فيه مزايا الأنبياء ، وفيه كفر الكافرين  
وداعة الأطفال فيه ..  
وقسوة المتوحّشين ..

\* \* \*

رجل أنا .. كالآخرين ..  
رجل يحبّ - إذا أحبّ - بكلّ عنف الأربعين  
لو كنتِ يوماً تفهمين  
ما الأربعون ؟ .

وما الذي يعنيه حبّ الأربعين  
يا بضعة امرأة .. لو أنك تفهمين ..

---

## إلى مراهقة ..

" رجل أنتَ ؟ " .. قلّتها في تحدّ  
ضاع مئّي فمي .. ماذا أجيب

لا تكوني حمقاء .. ما زال للنسر  
جناح .. على الذرى مسحوب

لم أتبْ عنك يا غبيّة ، عجزاً  
ومتى كانت النسور تتوب ؟

لا تمسي رجولتي .. لو أنا شئتُ  
طعاماً .. لكنتُ منه أصيب

كنتُ أستطيع أن أحيلك جمرًا  
فأذيب الرخام .. ثمّ أنوب ..  
\* \* \*

منطق الأربعين .. يلجم أعصابي  
فغفواً .. إن لم تُثّرني الطيوب

ما أنا فاعل بخمسة عشر  
شهد الله أنّه تعذّب

شفتاك الصغيرتان أمامي  
وضميري عليهما مصلوب

وثب الأرنبان نحوي .. فمالي  
كجدار الجليد لا أستجيب ؟

كلما فكرت يداي بقطف  
ردّني الطهر عنهما .. والحليب

أذهبى .. فالصداع يحفر رأسى  
والرؤى .. والدخان .. والمشروب

لا تصبى الكحول فوق جراحي  
فالصراع الذى أعانى رهيب

لكِ عمر ابنتى .. ولين صباها  
وتقاطيعها .. فكيف الهروب ؟

اليدان الشمعيتان .. يداها  
والفمّ الطفل .. سكر وزبيب

كلما طفت في مكان جلوسى  
طاف بي وجهها الصغير الحبيب

أين أنجو من عقدتى ؟ كيف أنجو ؟  
من ورائى .. ومن أمامى اللهب  
\* \* \*

أذهبى .. أذهبى .. كسرت سلاحى  
ضاع مئى فمى .. فماذا أجيب ؟

## صوتٌ من الحريم

- ١ -

" تحببى " !  
الجملة الجوفاء ذاتها ..  
" تحببى " !!  
اللفظة البلهاء ذاتها ..  
" تحببى " !!  
النعمة القديمة التى بها دوختنى  
أول ما عرفتنى ..  
أضعتُ إحساسى بها  
فلم تعد تهزنى ..

- ٢ -

" تحبني " !  
كأي .. أي امرأة تحبني  
وجه أنا .. وجه من الوجوه في دفترك الملون  
جريدة صفراء تطويني إذا قرأتني  
سوسنة تضيفها إلى أوف السوسن  
ولعبة من خزف ..  
تشيلني ..  
تحطني ..  
فإذا رأيت لعبة جديدة  
حطمتني ..

- ٣ -

" تحبني " !  
لا .. لا تعدها مرة أخرى ..  
فقد أضحككتني  
يا لاعباً في السرك .. يا مهرجاً ..  
بألف وجه مستعار .. ألف دور متقن ..  
كفى .. كفى .. فتلك مسرحية  
مثلتها أول ما رأيتني  
وعشتُ عامين بها ..  
مأخوذة بكل ما أسمعني  
بالضوء ، بالحوار ، بالجوّ الروائي الغني  
فمشهد يقيمني ..  
ومشهد يقعدني ..  
وأنت ، فوق المسرح المضاء تستثيرني  
بالجمال الجوفاء .. بالحرف الذي يؤمن ..  
ما أرخص الحرف إذا لم يؤمن ..

- ٤ -

" تحبني " !  
معزوفة .. معادة .. رخيصة الملحن ..  
تديرها .. تديرها لكل وجه حسن  
قل غيرها .. أتلفت أعصابي بها .. أتلفتني ..  
قل غيرها .. قل تشتهي طيبي .. ودفء مسكني

قل إنني .. جميلة .. وسهلة .. وإنني ..  
أعطيتُ في بلاهة جميع ما سألتني ..  
وأأسفي .. جميع ما سألتني ..

- ٥ -

تريديني .. محظية جديدة  
تدفنها .. وراء جدران الحريم المزمّن  
أما أنا فإنني ..  
أبحث يا مُستثمري .. عن رجل يحبّني ..  
وأنت لا تعرف أن تحب .. أن تحبني ..  
فأنت غاوي تحفٍ  
ميدانك العيون .. لا ما وراء الأعين ..  
وأنت طفل لاعب بالحرز الملون ..

\*\*\*\*\*

\*\*\*\*\* النهاية \*\*\*\*\*

\*\*\*\*\*

مع تحيات يحيى الصوفي

مؤسس ورئيس تحرير موقع

القصة السورية  
Syrian Story